عقد الجمان

في التعريف بعلوم القرآن

د. عمر بن محمد عمر عبدالرحمن

الألوكة
www.alukah.net
00201156800204

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عقد الجمان
في التعريف بعلوم القرآن

جمع وإعداد:

أبو صهيب

عمر بن محمد عمر عبدالرحمن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿ولقد يسرنا القرآن

للذكر فهل من مدكر﴾

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين،

أمَّا بعد:

فإنَّ الله تعالي أنزَل القرآن الكريم على رسوله ﷺ ليخرجَ بِهِ أمته من الظلمات إلي النور، حتَّى أصبحت أمته خيرَ أمةٍ أُخرجت للنَّاسِ.

وقد تميزت هذه الأمة بخصائص كثيرة لم توجد في أي أمة مِن أمم الأرض، واختص نبيها ﷺ بخصائص كثيرة لم تكن لأحد غيره، كما تميزَ دينها الإسلامي الحنيف بخصائص دونَ سائر الأديان الأخري، وتميز كتابها بخصائص دونَ سائر الكتب المنزلة الأخري.

وقد نشأت لهذا الكتاب العظيم علومًا جمة تخدمه وتساعد فى تيسير فهمه على أبناء الأمة تصديقاً لقول ربنا: ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾ [القمر/ ١٧]، وقد كتَبَ كثيرٌ منَ العلماءِ والباحثين فى هذه العلوم، وما زال العطاء فى هذا الباب مستمرًّا، وذلكَ من فضل الله تعالي علينا وعلى النَّاس.

وهذه رسالة لطيفة موجزة فى التعريف بعلوم القرآن الكريم، ثُمَّ بيان لخصائص هذا الكتاب العزيز، وقد أسميتها: (**عقد الجمان فِي التعريف بعلومِ القرآن**)، أردتُ بها تيسير

مبادئ هذا العلم على الدارسين له وغير الدارسين ممن لهم صلة بالثقافة الإســـلاميَّة، والله أسأل أن ينفع بها ويرفع، إنّه بكلّ جميل كفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل!

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هُداه.

أبو صهيب عمر محمّد عمر عبد الرحمن

عقد الجمان
في التعريف بعلوم القرآن

وفيه:

المبحث الأول: **معني «علوم القرآن».**

المبحث الثاني: **الفرق بين القرآن الكريم والأحاديث القدسيَّة.**

المبحث الثالث: **أسماء القرآن الكريم.**

المبحث الرابع: **نشأة «علوم القرآن» وتطورها.**

المبحث الخامس: **الفائدة من دراسة «علوم القرآن».**

المبحث السادس: **الفرق بين «أصول التفسير» و«علوم القرآن».**

المبحث السابع: **خصائص القرآن.**

المبحث الأول:

معني «علوم القرآن»

مُصطلح **"علوم القرآن"** مركب إضافي، طَرفاهُ "علوم"، "القرآن".

ولتوضيح المراد منه، يستلزم ذلك أن نبين معنى كل من طرفيه، ثم بعد ذلك نبين المراد منه.

أمَّا لفظ ((**العلوم**)):

فهي جمع علم، والعلم في اللّغة بمعني الفهم والمعرفة، وقد يُطلق أحيانًا ويُراد منه "اليقين والقطع".

أمَّا العلم –فى الاصطلاح– عبارة عن: «جملة من المسائل المضبوطة بجهةٍ واحدة».

وَلَا نقصد هنا بالعلم «الملكة التى بِها تستحصل هذه المسائل» أو «إدراك المسائل»؛ لأنَّ بحثنا فى العلم بمعني «الفن المدون».

ومعلومٌ أنَّ الذى يدون ويُؤلف هي «المسائل والقواعد» لا «الملَكة ولا الإدراك».

وأمَّا لفظ ((**القرآن**)):

فقد اختلفَ العلماءُ فيه من جهة اشتقاقه أو عدمِهِ، ومِنْ جهةِ كونه مهموزًا أو غير مهموزٍ، ومِنْ جهة كونه مصدرًا أو وصفًا، على أقوالٍ، نجملها فيما يأتي:

أمَّا القائلونَ بأنَّه «مهموز» فقد اختلفوا علي رأيينِ:

الرأي الأول: يري أصحابه أنَّ القرآن مصدر (قرأ) بمعني: تلا، ثمَّ نُقِلَ هذا المعني المصدري، وجعلَ اسمًا للكلامِ المترل على نبينا محمد ﷺ، من باب «تسمية المفعول بالمصدر».

ويشهد لهذا الرأي ورود القرآن مصدرًا بمعنى: القراءة فى الكتابِ الكريم، إذْ يقول الله ﷻ: ﴿**إِنَّ علينا جمعَهُ وقُرآنَهُ * فَإِذَا قَرأنَاهُ فاتَّبعْ قُرآنَهُ**﴾ [القيامة/ ١٧،١٨] أي قراءتَهُ.

الرأي الثاني: يرى أصحابه أنَّ القرآن وصف علي وزن (فعلان)، مشتق مِنَ: القرء، بمعني الجمع، يُقال فى اللغة: قرأت الماء فى الحوض؛ أي جمعته، ثُمَّ سمي به الكلام المترل علي النبي ﷺ لجمع السور والآياتِ فيه أو القصص والأوامر والنواهي، أو لجمعه ثمرات الكتب السابقة .

والقرآن –على هذهين الرأيين– «مهموز»، [وإذا تُركت الهمزة = فذلك للتخفيف]، ويكون على وزن (فعلان).

وأمَّا القائلونَ بأنَّ القرآنَ «غيرَ مهموزٍ» فقد اختلفوا فى أصل اشتقاقه:

فقال قوم (ومنهم الأشعري): هو مشتقٌ مِن: (قرنت الشيء بالشيء) إذا ضممت أحدهما إلى الآخر، وسمي به القرآن؛ لقران السور والآياتِ والحروف فيه.

وقَال الفراء: هو مشتق منَ (القرائن)؛ لأنَّ الآياتَ منه يُصدق بعضها بعضًا، ويُشابه بعضها بعضًا، وهى (قرائن) أى أشباه ونظائر.

وعلي هذين القولين فنون «القرآن» أصليَّة، ويكون وزنه (فعال)، بخلاف رأي الذين قالوا إنّ القرآن «مهموز» فالنون فيه زائدة.

وهناكَ رأي –غيرَ ما سبقَ– يري بأنَّ (القرآن) اسم علم غير منقول، وضع علمًا علي: الكلام المترّل علي سيدنا محمّدﷺ . (وهو غير مهموز)[1].

وبتخفيف كلمة (القرآن) = قرأ «الإمام ابن كثيرٍ» وحده، أَمَّا بقيَّة القراء = فقرأوا بالهمز .

وأمَّا أرجح الآراء، وأخلقها بـالقبولِ (الرأي الأول) أنَّه مهموز وهو مصدر من (قرَأَ) بمعني تلا، ويليه الرأي الثاني.

ومِمَّا يقوى مذهب القائلين بالهمز؛ أَنَّهم خرجوا التخفيف تخريجًا علميًّا صحيحًا، ولا أدرى ماذا يقول القائلون بالرأي الأخير في توجيه قراءة لفظ (القرآن) بالهمز، مع أَنَّ عليها معظم القراء غير ابن كثير، كما ذكرنا آنفًا!

تلخيص الآراء السابقة فى معنى (القرآن) لغةً:

١) مهموز، مصدر قرأ، بمعني تلا، والنون فيه زائدة (وهو الرأي الرجح).

٢) مهموز، وصف علي وزن (فعلان)، مشتق مِنَ: القرء، بمعني الجمع، والنون فيه زائدة.

٣) غير مهموز، مشتق من (قرنت الشيء بالشيءِ) أي ضممتُ أحدهما إلى الآخر، والنون فيه أصلية.

٤) غير مهموز ، مشتق من (القرائن)، والنون فيه أصلية.

٥) غير مهموز، لكنه اسم علم وضع علمًا علي كتاب الله تعالي المترل علي رسول الله ﷺ .

---

[1] وهو مرويٌّ عَن الإمام الشافعيّ، كما أخرجَ البيهقي والخطيب عنه، أَنَّه كانَ يهمز: قراءة، ولاَ يهمز (القرآن)، ويقول: (القرآن) اسم، وليسَ بمهموز، و لم يؤخذ من قراءة، ولكنه اسم لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل.

وَأمَّا تعريف (القرآن) اصطلاحًا:

فهو «كلام الله المترل علي نبيّه محمد ﷺ المعجز بلفظه، المتعبد بتلاوته، المنقول بالتواتر، المكتوب فى المصاحف، مِنْ أوَّل سورة (الفاتحة) إلى آخر سورة (النَّاسِ) ».

وقولنا «المترل على نبيه محمد ﷺ» خرجَ المترل على غيره مِنَ الأنبياءِ كالتوراة والإنجيل والزبور والصحف.

وخرجَ بقولنا «المعجز بلفظه المتعبد بتلاوته» الأحاديث القدسيَّة، على رأي مَنْ قال بأنَّ لفظها من عند الله ﷻ؛ فإنَّها غير معجزة بلفظها، ولا متعبد بتلاوتها.

وخرج بقولنا «المنقول بالتواتر» جميع ما سوي القرآن المتواتر من منسوخ التلاوة، والقراءات غير المتواترة سواء نقلت بطريق الشهرة[1]، أو بطريق الآحاد[2]، فإنَّها ليْست قرآناً ولا تأخذ حكمه.

«علوم القرآن» بالمعنى الإضافى:

الآن وقد وضحَ لَنَا المراد من كل طرفي "المركب الإضافي" يتبين لَنَا المراد مِنَ الإضافة التي بينهما؛ فهي تُشير إلى كل المعارف والعلوم المتصلة بالقرآن الكريم، وَمِن ثم جُمع لفظ «علوم» و لم يُفرد؛ لأنَّ المرادَ شمول كل العلوم التى لها تعلق بالقرآن الكريم وكل علم يبحث فى القرآن الكريم من أى ناحية من نواحيه المتعددة، إذْ يشمل: علم التفسير، وعلم الرسم العثماني، وعلم القراءات، وعلم غريب القرآن، وعلم إعجاز القرآن، وعلم مجاز القرآن، وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم المحكم والمتشابه، وعلم إعراب القرآن، وعلم

---

(١) كقراءة ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالي فى كفارة الأيمان ﴿فصيام ثلاثة ايام﴾ [المائدة/ ٨٩] إذ زاد ابن مسعود فيها (متتابعات).

(٢) كقراءة لفظة ﴿رفرفٍ﴾ من قوله تعالي: ﴿متكئينَ على رفرفٍ خضر وعبقرى حسانٍ﴾ [الرحمن/ ٧٦] بالجمع فتقرأ (رفارف).

أمثال القرآن ... وغير ذلك مِنَ العلوم الكثيرة التي توسع في بحثها العلماء، وأفردوا لَهَا المصنفات والمؤلفات.

إذًا فعلوم القرآن هي: «كل المعارف والعلوم المتصلة بالقرآن الكريم» .

ويكون موضوع علوم القرآن: القرآن الكريم، مِن ناحية تفسيره، أو من حيث رسمه، أو من حيث طريقة أدائه، أو من حيث إعجازه، أو من حيث مجازه، وغيرها .. لِذاَ فهي علوم متعددة.

وقد اختصرت كل هذه العلوم المتعددة، وجمعت جل أصولها ومسائلها فى كتابٍ واحدٍ، وصار هذا العنوان: «علوم القرآن» علمًا وقفًا لهذه المباحث المدونة فى موضعٍ واحدٍ، بعد أنْ كانت مبثوثة مبعثرة ومنشرة فى ثنايا الكتب، وصَارَ عِلمًا واحدًا بعدَ أنْ كانَ عددًا مِنَ العلومِ .

وبذلكَ يُمكننا أَنْ نعرف هذا الفن بمعناهُ «العَلَمي» -بفتح العين واللام- بأنَّه: **«علمٌ ذو مباحث، تتعلق بالقرآن الكريمِ مِنْ حيث نزوله وترتيبه وكتابته وجمعهِ وقراءاتهِ وتفسيره وإعجازهِ وناسخه ومنسوخِهِ ومحكَمِهِ ومتشابهه، إلى غيرِ ذلكَ مِنَ المباحث التى تُذْكَر فى هذا العلم»**.

ومَوضوع **هذا العلم**؛ القرآن الكريم مِنْ هذه النواحي السابقة كلها.

المبحث الثاني:
الفرق بين القرآن الكريم والأحاديث القدسيَّة

لَعَلَّ مِنَ المناسبِ هُنا أن نذكرَ الفرقَ بين القرآن الكريم والأحاديث القدسيَّة، حتَّى لا يتوهم أحد أنَّ الفرق بينهما مقصورٌ على التعبد بتلاوة القرآن دون الحديث القدسي، إذْ إنَّ هُناكَ فروقًا كثيرةً ذكرها العلماءُ مِنها:-

(١) أنَّ القرآن الكريم، تحدّى الله تعالى به البشر، أنْ يأتوا بمثله، أو بعشرِ سورٍ مثله، أو بسورةٍ واحدةٍ من مثله، أو بآيةٍ واحدة مثله علي منواله فعجزوا!

أمَّا الحديث القدسي فلم يقع به التحدّي والإعجاز .

(٢) القرآن الكريم منقول إلينا بالتواتر جيلاً بعد جيلٍ، فهو قطعيُّ الثبوتِ كله، أمَّا الحديث القدسي فأغلبه أحاديث آحاد (ظنيّ الثبوت).

(٣) أنَّ القرآن الكريم مِنْ عِند الله تعالى لفظًا ومعنىً، أمَّا الحديث القدسيّ فمعناه مِنَ الله (باتفاق العلماء) أمَّا لفظه فقد وقع فيه الخِلاف (والراجح أنَّ اللفظ مِن رسولِ الله ﷺ).

(٤) لا يُنسب القرآن الكريم إلَّا إلى الله ﷻ، أمَّا الحديث القدسي فيُنسب إلى الله تعالي نسبةَ (إنشاءٍ) فيُقال: "قال الله تعالى في الحديث القدسي (أو الإلهي)"، ويُروي مضافًا إلي الرسول الكريم ﷺ نسبةَ (إخبارٍ) فيُقال: "قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عَنْ رَبِّهِ".

(٥) لا يمس القرآن إلَّا طاهر، بخلاف الحديث القدسي فيمسه الطاهر وغيره (وإنْ كان الأوْلي أن يتره عن غير الطاهر).

(٦) القرآن الكريم متعبَّدٌ بتلاوتهِ من وجهين:-

أ- أنَّ الصلاةَ لا تصح إلَّا بتلاوة القرآن [دونَ الحديث القدسي].

ب- أنَّ ثواب قراءة القرآن الكريم ثواب عظيم؛ كما وردَ فى حديث ابن مسعود ﷺ : «مَنْ قرأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ تعالى فلَهُ بهِ حسنةً، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ﴿آلم﴾ حرف؛ ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»، [والحديث القدسيّ ليْسَ فى تلاوته الثواب الوارد لتلاوة القرآن الكريم].

(٧) أنَّ القرآن الكريم تحرم روايته بالمعني، بخلاف الحديث القدسي فتجوز روايته بالمعني (بشروطٍ دقيقة عِنْد أهل العلم بالحديث الشريف).

(٨) القرآن الكريم لا يكون إلَّا بوحيٍّ جليٍّ مِنَ الله تعالي، بنزول جبريل عليه السلام علي الرسول الكريم ﷺ يقظةً، (إذْ لَمْ ينزل شيءٌ مِنَ القرآنِ علي الرسول ﷺ بالإلهام أو منامًا)، بخلاف الحديث القدسي فنزل بالوحي الجلي والخفيّ (يقظةً ومنامًا)[1].

(٩) يحرم بيع القرآن الكريم، (وهذا على مذهب الإمام أحمد، حيثُ قال: "لا أعلمُ فى بيعِ المصاحف رخصةً"، ورخص في شرائها، وقال: "الشراء أهون"، ورخص في بيعها الشافعي وأصحاب الرأي).

بِخلاف الحديث القدسي، فلم يقل أحدٌ بتحريم بيعه!

---

(١) أمَّا ما جاء في صحح الإمام مسلم عن أنسٍ بن مالكٍ ﷺ أنَّه قالَ: بينا رسول الله ﷺ ذاتَ يومٍ بينَ أظهرنا إذْ أغفى ثم رفعَ رأسه مبتسمًا، فقلنا: مَا أضحكك يا رسولَ الله ؟! قال: «أنزلتْ عليَّ آنفًا سورةً، فقرأ: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم ﴿إنَّا أعطيناكَ الكوثر، فَصَلِّ لربِّكَ وانحر، إنْ شانئكَ هو الأبتر﴾ الحديث. والواقع أنَّ هذه (الإغفاءة) ليْست إغفاءة نومٍ، ولعلَّها الحال التى تأتيه عِنْد الوحي، حيثُ يُصيبه ﷺ ثِقل فى الجسم، وتفصد العرق، وشبه إغفاءة نومٍ، والله أعلم.

(١٠) تُسمى الجملة من القرآن الكريم (آية) والجملة مِنَ الآيات (سورة)، بخلاف الأحاديث القدسيَّة، فلا يسمي بعضها آية ولا سورة باتفاقٍ.

(١١) يكفر مَنْ جحدَ القرآن الكريم، ولو شيئًا منه (حرفًا كان أو كلمة)، بخلاف الحديث القدسي فلا يكفر مَنْ جحدَ غيرَ المتواتر منه.

(١٢) يُشرع الجمع بين الاستعاذة والبسملة (علي تفصيلٍ) قبل الشروع في قراءة القرآنِ الكريم، بِخلافِ الحديث القدسي.

(١٣) القرآن الكريم له رسم خاص (توقيفيّ) – هو رسم المصحف العثماني – أو – المصحف الإمام – لا يجوز تبديله ولا تغيره، بخلاف الحديث القدسي فليسَ له رسم (خاص به).

المبحث الثالث:

أسماء القرآن الكريم

للقرآنِ الكريم أسماء كثيرة، أشهرها: «القرآن»، ومنها:-

«الفرقان» لأنَّه فارق بينَ الحق والباطل، إذْ يقول الله ﷻ: ﴿**تباركَ الذى نزَّلَ الفرقان على عبدهِ ليكونَ للعالمينَ نذيراً**﴾ [الفرقان/ ١].

و«الكتاب» وهو مصدر لكتبَ بمعني: الجمع والضم، أريدَ بِهِ القرآن لجمعهِ العلوم والقصص والأخبار على أبلغ وجهٍ، يقول الله تعالي ﴿**الحمدُ لِلَّهِ الذى أنزلَ على عبدهِ الكتابَ ولَمْ يجعلْ لَهُ عِوجًا**﴾ [الكهف/ ١]. وقد قال الرسول ﷺ فى حديثه الصحيح: «ألَا إنّى أوتيتُ الكتابَ ومثلهُ معهُ».

و«التنزيل» مصدر أُريدَ بهِ المنزل، لنزولِهِ مِنْ عِندِ الله ﷻ قال تعالى: ﴿**وإنَّه لكتابٌ عزيزٌ لا يأتيهِ الباطلُ مِنْ بينِ يديه ومن خلفهِ تنزيلٌ مِنْ حكيمٍ حميدٍ**﴾ [فصلت/ ٤١-٤٢].

و«الذكر» سُمي بِهِ القرآن؛ لاشتمالهِ على المواعظ والزواجر، وقيلَ: لاشتماله على أخبار الأنبياء، والأمم الماضيَّة، وقيل: مِنَ الذكر، بمعني الشرف، قال الله: ﴿**وإنَّهُ لذكرٌ لَكَ ولقومكَ**﴾[الزخرف/ ٤٤] بمعني شرفٌ لأنه نزلَ بلغتكم، وقد قال ﷻ: ﴿**إنَّا نحنُ نزلَّناَ الذكرَ وإنَّا له لحافظونَ**﴾[الحجر/ ٩].

وهذه الأربعة «الفرقان»، و«الكتاب»، و«التنزيل»، و«الذكر» هي أشهر الأسماء بعد «القرآن»، وقد صارت أعلامًا (بالغلبَةِ علي القرآنِ فى لسانِ أهل الشرع وَعُرْفِهم).

وقد تسامحَ «أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك» في كتابه «البرهان فى مشكلاتِ القرآن» فى عدِّ أسماء القرآن، فبلغَ بِهَا خمسة وخمسين اسماً، نقلَ ذلك عنه «السيوطي» في كتابه «الإتقان»[1].

(١) ومِمَّا تجدر الإشارة إليه أنَّ أغلب مَا ذكروه من أسماء للقرآن الكريم، هي في حقيقة الأمر أوصاف له، كعدِّهم مثلاً (كريم) من أسماء القرآن أخذًا مِنْ قوله تعالي: ﴿إنَّه لقرآنٌ كـريمٌ﴾ [الواقعة/ ٧٧]، ولفظ (مبارك) أخذًا من قوله تعالي: ﴿وهذا ذكرٌ مباركٌ﴾ [الأنبياء/ ٥] (معَ أنَّ الظاهر كونهما "وصفين" لا "اسمين").

كَما أنَّ فى بعض مَا عدوه اسمًا للقرآنِ بُعْدًا وتكلفًا في أنَّ المراد به القرآن، كعدّهم (مناديًّا) من أسماء القرآنِ الكريم، لقوله تعالي: ﴿ربنا إننا سمعنا مناديًّا يُنادى للإيمانِ أن آمنوا بـربكم﴾ [آل عمران/ ١٩٣]، وعدهم (زبورًا) من أسماء القرآنِ لقولِ الله تعالي: ﴿ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادىَّ الصالحونَ﴾ [الأنبياء/ ١٠٥]، معَ أنَّ الظاهر – والذي عليه جمهور المفسرين – أنَّ المرادَ بالمنادي في الآية الأولي = الرسول ﷺ، وبالزبور في الآية الثانية = الكتاب الذى نزلَ علي داود عليه السلام ، والذكر هو التوراة، وقيل الزبور: جميع الكتب السماويَّةِ المترلةِ. وقيلَ: إنَّ (الذكر) هو اللوح المحفوظ، ويكون المراد بـ (الزبور) الوصفيَّة لا العلَميَّة، فهو بمعني "المزبور" يعني المكتوب.

المبحث الرابع:
نشأة «علوم القرآن» وتطورها
(تاريخ علوم القرآن)

أولا: قبل عصر التدوين:

كانَ القرآن الكريم يترل على النبي ﷺ منجمًا (مفرقًا) حسبَ الوقائع والحوادث وحاجات النَّاس.

وقد تكفل الله ﷻ لنبيه ﷺ أنْ يُقرئه القرآن الكريم ويُفهمه معناهُ حيثُ قـال: ﴿لَا تُحركْ بهِ لسانَكَ لِتعجَلَ بهِ * إِنَّ علينا جَمعَهُ وقُرْآنه * فَـإِذا قرأنَـاهُ فـاتّبع قرآنَهُ * ثُمَّ إِنَّا علينا بيَانَهُ﴾ [القيامة/ ١٦-١٩] أي إنَّ الله سيجمعَهُ في صدر النبيﷺ ويُثبت قراءتَه على لسانهﷺ ويُبين له مَا خَفِي مِنْ معانيه.

وقد كَانَ النبيُّ ﷺ يعلم مِنَ القرآن وعلومه مَا لا يعرفه أحـد، وذلـكَ بسـبب الفيوضات الإلهيَّة التي كانتْ تُلْقى فى قلبهِ.

ثم بلّغ الرسول ﷺ لأصحابهِ ما أُنزل عليه، فقرأه علي مكـث وتمهـل وتـروٍ؛ ليحفظوا عنه لفظه ويفهموا معناه، ويقفوا على أسراره، وشرحه لهم بأقوالـهِ وأفعالـهِ، وتقريراته، وأخلاقه، إذ إنَّ الله ﷻ أمره أن يبين لهم الدين والشرع، فقال تعالي: ﴿وَأنزلْنَا إلَيْكَ الذكرَ لتبينَ للنَّاسِ مَا نُزِّلَ إليهم ولعلَّهم يتفكرونَ﴾ [النحل/ ٤٤].

وكانَ الصحابة ﷺ يحرصونَ غاية الحرصِ على حفظِ ما يترل مِنَ القرآن على حسب ما يتيسر لكلِّ واحدٍ منهم، وما يتفاوتون فيه من قدرة علي الحفظ.

كما كانوا يعرفونَ معاني القرآن وعلومه وأسراره لكونهم عربًا خلصًا.

كما امتازوا بصفاء القلوب وسعة العقل ورجحانِه، وقوة الحافظة، وكذا لأنَّهم شاهدوا الوحي والتترِيل بل حضروا الظروف والملابسات التى نزلَ فيها الوحي الشريف، وسمعوا من النبي ﷺ ما لم يسمعه غيرهم، ورأوا مِنْ أحواله الشريفة ما لم يره غيرهم.

وكان سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ مِنْ أعلم الصحابة بعلوم القرآن ولا سيما أسباب التزول، ومعرفة المكي والمدني وعلوم القراءات.

روي البخاري في صحيحه عنه ﷺ قوله: «والله الذى لا إله إلَّا غيره، مَا مِنْ آيةٍ مِنْ كتابِ الله إلَّا وأعلم أينَ نزلت وفيم نزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم منى بكتابِ اللهِ تبلغه المطي لركبتُ إليْهِ».

وكانَ الصحابة ﷺ إذا خفي عليهم شيء مِنَ القرآنِ لم يُدركوه بفطرتهم اللغويّة، ومعارفهم المكتسبة؛ رجعوا فيه إلى المعصوم ﷺ فيعلمهم إيَّاهُ، حتَّى تجمعَ لهم مِنْ علوم القرآن الشيء الكثير .

روي الإمام البخاري أنَّه لَّما نزلَ قول الله تعالي: ﴿**الذينَ آمنوا ولَمْ يلبسوا إيمانهمْ بظلمٍ أولئك لهم الأمنُ وهمْ مهتدونَ**﴾ [الأنعام/ ٨٢] اهتمَّ[1] الصحابة، وقالوا: أينا لم يظلم نفسه، فبينَ لهم النبيُّ ﷺ أنَّ المرادَ بالظلم: الشرك، أخذًا من قول الله تعالي: ﴿**يَا بُنىَّ لا تُشركْ باللهِ إنَّ الشركَ لظلمٌ عظيمٌ**﴾ [لقمان/ ١٣].

---

(١) أي أصابهم الخوف والهم والفزع.

وروي البخاري كذلك، أنَّه لَمَّا نزلَ قول الله تعالي: ﴿**وكلوا واشربوا حَتَّى يتبيَّنَ لكمُ الخيطُ الأبيض مِنَ الخيطِ الأسودِ مِنَ الفجر**﴾ [البقرة/ ١٨٧] عمِدَ صحابيٌّ جليل واسمه "عُدي بن حاتم" إلي عقالين: أحدهما أبيض، والآخر أسود، ووضعهما تحتَ وسادتهِ، فبينَ لهُ المعلمﷺ أنَّ المرادَ بالخيطين: بياضُ النّهار، وسوادُ الليل.

وغير ذلك مِنَ الأمثلةِ كثير ومشهورٌ في كتب السُنَّةِ والتراجم.

فلم يكن هدف الصحابة ﷺ حفظَ ألفاظ القرآن الكريم فقط، بل جمعوا إلى الحفظ؛ الفهم، والتدبر، ثُمَّ العمل بمقتضي مَا علموا مِنَ الأحكام والآداب الشرعيَّة .

لِذا كان سيدنا عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود ﷺوغيرهما مِنْ أصحاب النبيﷺ إذا حفظوا عشر آيات لم يتجاوزوها حتَّى يتعلموا مَا فيها مِنَ العلم، ثم يعملوا بها، وقالوا: «فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا».

وهذا هو السر في مَا رواه الإمام مالك أنَّ سيدنا عبد الله بن عمر ﷺ أقامَ علي حفظ سورة البقرة ثمانِ سنين.

وكذا ما رُوي عن أنسٍ ﷺ : «أنَّ الرجل كانَ إذا قرأ البقرة وآل عمران جَدَّ في أعيننا» أي عظمَ.

وبرغم مَا كانَ عليه الصحابة ﷺ مِنَ العروبة الخالصة، والتصرف فى فنون القول، وأخذهم بزمام الفصاحة، فقد خفيت عليهم بعض ألفاظ القرآن الكريم مِنَ الناحية «اللغويَّة»، ولَمْ يعرفوا معناها.

فقد جاء عن أنسٍ ﷺ أنَّ عمر بن الخطاب ﷺ قرأ على المنبر: ﴿**وَفاكِهَةً وأَبًّا**﴾ فقال: «هذه الفاكهة قد عرفناها .. فَمَا الأب؟» ثُمَّ رجعَ إلى نفسهِ فقال: «إنَّ هذا لهو التكلف يا عمر، ومَا عليكَ يا ابن أم عمر أنْ لا تدري: مَا الأب».

لأنَّ عدم معرفة معني كلمة مِنَ القرآن لا تضر المسلم، ما دَامَ حافظًا للقرآنِ عَامِلًا بكلِّ مَا فيهِ منْ أحكام وآداب.

وعن مُجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كنت لا أدرى مَا ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ﴾ حتَّى أتاني أعرابيان يختصمانِ فى بئرٍ، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي ابتدأتها».

وقد بلّغ الصحابة رضي الله عنهم مَا حملوه عن النبي ﷺ مِن تفسير القرآنِ الكريم وعلومه، ومَا فهموه منه باجتهاداتهم إلى مَنْ جاءَ بعدهم مِنَ التابعين، وبلّغه التابعونَ إلى مَنْ جاءَ بعدهم.

فقد كانَ المعوَّل عليه في القرون الأولي (في القرآن الكريم وعلومه، وكذا السُنَّة المطهرة وعلومها) الرواية والتلقي والمشافهة لا الخط والكتابة والتأليف.

واستمرَّ الأمر على هذا النحو إلى أنْ جاءَ عصر التدوين، فدونت المعارف والعلوم في الصحف والسطور، بعد أن كانت محفوظة في الصدور.

ثانيا: عصر التدوين:

لَمْ تكن علوم القرآن الكريم وغيرها مِنَ العلوم مدونةً فى العصر الأول (عصر النبيِّ ﷺ) فى الكُتب والصحف، وإنَّما كانت مدونةً فى صفحات القلوب، وكانَ المدون وقتها «القرآن الكريم» فحسب.

وذلكَ لِمَا وردَ فى الصحيح مِنَ النهي عن كتابة غير القرآن، كما روي الإمام مسلم فى صحيحه أنَّ النبي ﷺ قال: «لا تكتبوا عنّي، ومَنْ عنّى غيرَ القرآن فليمحه، وحدثوا عنى ولا حرج، ومَنْ كذبَ عليَّ متعمّدًا فليتبوأ مقعدَهُ مِنَ النار».

ولقد تحرَّجَ عددٌ مِنَ الصحابة الكرام رضي الله عنهم والتابعين من كتابة وتدوين غير القرآن الكريم حتَّى الحديث الشريف لم يدونوه، وقد اكتفوا في علوم القرآن والحديث بالحفظ والرواية وفقط.

س: ولِمَاذا لم يكتبْ غير القرآن الكريم فى عصر النَّبىِّ ﷺ ومَا بعدَهُ؟!

ج: ذلك حتَّى لا يلتبس القرآن الكريم بغيره مِنَ العلومِ.

إِلَي أنْ جاءَ عهد سيدنا عليٍّ رضي الله عنه فأمَر (أَبا الأسود الدؤلي) بوضعِ علم (النحو) فكانَ هذا فاتحة خير؛ لتدوينِ علوم الدين واللغة العربيَّة.

وفى العهد الأموي؛ اتسعت دائرة التدوين والتأليف عن ذي قبل، حتَّى رأي الخليفة الراشد العادل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنْ يجمع الأحاديث؛ فأمرَ علماء الأمصار بجمع أحاديث الرسول ﷺ .

س: ولِمَاذا أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز بجمع الأحاديث النبويَّة ؟!

ج: مخافة أنْ يذهب شىء منها بذهاب العلماء، وحتَّى يتميز صحيح الحديث مِنْ سقيمه، ومقبوله مِنْ مردوده.

وجاءَ العصر العباسي؛ فاتسعت دائرة التأليف، أكثر وأكثر، حتّى شملت معظم علوم الدين واللغة العربيَّة، بل وعلوم الفلسفة، كما ترجمت كثيرٌ مِن كتب الفلسفة فى هذا العصر.

وبهذا، نشطت حركة التأليف نشاطًا قويًّا في هذا العصر، وكانَ لعلومِ القرآن حَظ غير قليلٍ مِن هذا النشاط.

وكانَ مِنَ الطبيعي أَن يكونَ **أوَّل ما يدون مِن علوم القرآن هو «علم التفسير»** إِذْ هو الأصل فى فهم القرآن، وتدبره، وعليه يتوقَّف استنباط الأحكام، ومعرفة الحلال مِنَ الحرامِ .

فألَّفَ فى التفسير:

- مقاتل بن سليمان (ت١٥٠هـ)،
- وشعبة بن الحجاج (ت١٦٠هـ)،
- وسفيان الثوري (ت١٦١هـ)،
- ووكيع ابن الجراح (ت١٩٧هـ)،
- وسفيان بن عيينة (ت١٩٨هـ).

وكانت تفاسيرهم جامعة لأقوال الصحابة والتابعين .

ثُمَّ تلاهم: محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) فألف تفسيره المشهور، وهو مِنْ أعظم كتب التفاسير وأجلها؛ لأنَّه أوَّل مَنْ تعرَّض لتوجيه الأقوال، وترجيح بعضها على بعضٍ، وبذلك يُعتبر "الطبريّ" أول مَنْ حاولَ مزج التفسير بالمأثور بالتفسير بالاجتهاد والرأي.

وكانَ «تفسير الطبري» قطرة تلاها غيث كثير، فألَّفَ فى التفسير بقسميه: (المأثور، وغير المأثور) خلقٌ لا يحصونَ مِنْ أجلة العلماء، مَا بين مطنبٍ ومتوسّطٍ وموجز، وَمَا بَيْنَ مفسر للقرآن كله ومفسر لبعضه.

كما شملت حركة التأليف كل نوعٍ مِنْ أنواع علوم القرآن تقريبًا.

فألَّف في «**أسباب النزول**»:

- عليٌّ بن المديني (ت٢٣٤هـ) -شيخ البخاري-.

وفي «**الناسخ والمنسوخ**»:

- أبو عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ)،
- وأبو جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت٣٣٨هـ)،
- وابن حزم (ت٤٥٦هـ).

وألّف فى «**مشكل القرآن وغريبه**»:

- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ)،
- أبو عبيدة معمر بن المثني (ت٢٠٩هـ)،
- أبو عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ)،
- أبو بكر السجستاني (ت٢٣٠هـ)،
- والراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ).

وألَّف فى «**إعراب القرآن**»:

- محمد بن سعيد الحوفي (ت٤٣٠هـ)،
- وأبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت٦١٦هـ).

كما ألف فى «**إعجاز القرآن**»:

- الرماني (ت٣٨٤هـ)،
- والخطابيّ (ت٣٨٨هـ)،
- أبو بكر الباقلاني (ت٤٠٣هـ).

وفي «**مجاز القرآن**» ألف:

- ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ)،
- والشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ)،
- والعز بن عبد السلام (ت٦٦٠هـ).

وفي «**قراءات القرآن**» أَلَّف:

- أبو بكر بن مجاهد (ت٣٢٤هـ)،
- وعلم الدين السخاوي (ت٦٤٣هـ)،
- وابن الجزري (ت٨٣٣هـ).

وفى «**أقسام القرآن**» أَلَّفَ:

- ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ).

وفى «**أمثال القرآن**» أَلَّفَ:

- أبو الحسن الماوردي (ت٤٥٠هـ).

وفى «**جدل القرآن**» أَلّفَ:

- نجم الدين الطوفي (ت٧١٦هـ).

وفى «**فضائل القرآن**» أَلَّف:

- أبو عبيد (ت٢٢٤هـ)،
- والنسائي (ت٣٠٣هـ)،
- وابن كثير (ت٧٧٤هـ).

إلي غير ذلكَ مِنَ المؤلفاتِ المتكاثرة التي تناولت كل نواحي القرآن المتعددة.

وقد سَلكَ العلماء في مؤلفاتهم طريقة «الاستيعاب والاستقراء» لأجزاءِ الأنواعِ التي ألفوا فيها ؛ فَمَنْ أَلَّفَ في «مجاز القرآن» أخذَ يتتَّبع كل آيةٍ فيها مجاز، ومَنْ يؤلف في «أمثال القرآن» أخذ يتتبع كل آية فيها مثل، ومَنْ يؤلف في «أقسام القرآن» تتبعَ كل آيةٍ فيها قسم، حتَّى تكونت من ذلك كلهِ ثروة ضخمة في «علوم القرآن الكريم» تناولت القرآنَ الكريم من جوانبه المتعددة والمختلفة.

نشأة علم «علوم القرآن» كفنٍ مدونٍ مستقل:

وكانت هناكَ طريقة أخري فى التأليف؛ إذْ رأي بعض العلماء، أنْ يجمعوا الأنواع السابق ذكرها في كتاب واحدٍ مستقل، على غِرار مَا صنع المحدثونَ في «علوم الحديث»، فاستخلصوا مِنْ هذه العلوم علمًا واحدًا، يكون كالفهرس لها، يجمع خصائصها ومقاصدها، وإنْ لَمْ يُحط بكل الجوانب والمسائل والجزئيات؛ فكانَ هذا العلم الذي سمّوه «علوم القرآن».

وَقد جَاءَ التدوين في هذا متأخرًا علي الطريقَة السابقةِ، ثُمَّ سارا بعد ذَلِكَ جنبًا إلي جنبٍ ، فكان بعض العلماء يؤلف فى العلم كفنٍ مستقل، وبعضهم يؤلف فى نوعٍ مِنْ أنواعهِ.

متى ظهرَ مصطلح «علوم القرآن» ؟

يري «الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني» رحمه الله فى كتابه الماتع «مناهل العرفان»: أنَّ هذا الاصطلاح (علوم القرآن) ظهر استقلالاً في القرن الخامس الهجري على يدِ «الحوفي» (ت٤٣٠هـ) فى كتابه "البرهان فى علوم القرآنِ"[1].

---

[1] وذكرَ الشيخ رحمه الله أيْضًا أنَّ الجزء الأول من الكتاب مفقود، ولا أدري مِنْ أين عرف التسمية (ولعلَّه اعتمدَ على فهرس دار الكتب المصريَّة). وقد رجعتُ إلي كتاب «كشف الظنون» فتبين لي أنَّ اسم الكتاب «البرهان فى تفسير القرآن» وبذلك زالت الشبهة فى عدِّهِ مِنْ علوم القرآن، وثبت أنَّه كتاب تفسير، وهو الحق والصواب، كما يُدرك ذلكَ مَنْ رجعَ إلى الأجزاء الموجودة من الكتاب.

وَالحق أنَّ ما ذكره «الشيخ الزرقانيُّ» فيه نظر؛ لأنَّ كتاب "البرهان" لا يخرج عن كتب التفاسير التي تتعرض لذكر التفسير، وأسباب النزول، والقراءات، ونحو ذلــك، ولا فرقَ بين صنيعهِ وصنيع «القرطبي» و «الفخر الرازي» فِي تفسيرهما، فهو أمس بالتفسير منه بعلومِ القرآن، وَإِنْ كانت التسمية مشعرة بأنَّه أمس لعلوم القرآن.

لكن المعروف لدي الكاتبين فى «علوم القرآن» أنَّ ظهورَ اصطلاح «علوم القرآن» كانَ فى **القرنِ السادس الهجرى**، على يدِ "أبي الفرج بن الجوزي". [استنتاجًا مِمَّا ذكره الإمام "السيوطي" فى مقدمة كتابه "الإتقان"][1].

---

(1) وقد وقفتُ عَلَي مؤلَّف بعنوان: "مقدمتان فى علوم القرآن" طُبِعَ عام ١٩٥٤م، وقد أشـرفَ علـى الطباعـة والتصحيح المستشرق "آر ثر جفري"، وإحدي هاتين المقدمتين لمؤلِّفٍ لَمْ يُعـرف، لفقـدان الورقـة الأولى مِـنَ المخطوطة، التي نقلَ عنها الطابع، إلَّا أنَّه ذكرَ فى الصحيفة الثانيَّة منها: أنَّه بدأ فى تأليف كتابه فى سـنة أربعمئـة وخمس وعشرين ٤٢٥هـ وسمَّاهُ: "كتاب المباني فى نظم المعاني" وهو تفسيرٌ للقرآنِ الكريم، وقد صدَّرَهُ بهذه المقدِّمة، وهى تقع فى عشر فصولٍ، (وهى إحدي المقدمتين المنشورتين)، والمقدمة الأخري: مقدمة التفسير للإمام "عبد الحق بن أبي بكرٍ" المعروف بابن عطيَّة (ت٥٤٣هـ).

وقد ذكرَ صاحب كتاب «المباني فى نظمِ المعاني» في فصولِ مقدمتهِ: المكي والمدني، ونزول القرآن، وجمع القـرآن، وكتابة المصحف واختلافها، ورد الشبه الورادة علي الجمع والمصاحف، وبيان عدد السور والآيـات، والتفسـير والتأويل، والمحكم والمتشابه، ونزول القرآن على سبعة أحرف، إلي غير ذلكَ مِن مباحث «علوم القرآن».

وقد بلغت هذه المقدمة مئتين وخمسين صحيفة من هذا الكتابِ المطبوع، وهي تمتاز بإشراق اللفظ ونصوع البيان، وقوة الحجة، مِمَّا يُلقي الضوء علي أنَّ المؤلف مِنْ علماء الأندلس (كما استنتجَ ذلك المصحح).

وإنَّ أغلب مَا ذكرهُ الإمام السيوطي فى مقدمة «الإتقان» وَمَا ذكره أصحاب الكتب المؤلفة فى هذا الفن لا يـداني هذه المقدمة، بل بعضها لا يزيد عن فصلٍ من فصولها، فهي جديرة بأن تذكر فى كتب الفن، وهي – بحق – تعتبر محاولة جديَّة فى التأليف في هذا العلم. ولا يغض مِنْ قيمة المقدمة أنَّها مقدمة لتفسير، فكتاب «الإتقان» الذي هـو عمدة كتب فن «علوم القرآن» قد جعلَه مؤلفه مقدمة لتفسيرة الكبير كما ذكر.

كذا، فإنَّ بعض المفسيرين قديمًا وحديثًا قد صدّروا كتبهم بمقدّماتٍ قيمة في هذا الفن، لتكونَ مفتاحًا لهذه التفاسير، ولا تزال إلى اليومِ مرْجعًا للكاتبين فى هذا الفن، وذلكَ كما صنع «ابن جرير الطبري» و «القرطبي» و «الآلوسـي» وغيرهم مِنْ أئمة التفسير والعلم بالقرآن، [ولعلَّ أطولَ هذه المقدمات وأحفلها هي مقدّمة «القرطبي»، وهي علـى طولها لا تبلغ ما بلغته هذه المقدمة فى طولها وتنوع موضوعاتها].

وهذه المقدمة تثبت تقدّم تاريخ هذا الفن نحو قرنٍ ونصف قرنٍ مِنَ الزمان.

فألَّفَ الإمام «أبو الفرج الجوزي» (ت ٥٩٧هـ) كتابًا أسماهُ: «فنون الأفنان فى علوم القرآن»، وكتابًا آخر سمَّاهُ: «المجتبي فى علوم تتعلق بالقرآن».

وفى القرن السابع الهجرى:

ألَّفَ الشيخ «علم الدين علي بن محمد السخاوي» (ت٦٤٣هـ) كتابًا أسماهُ: "جمال القراء".

وألَّفَ العلَّامة «عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي» المعروف بـ «أبي شامة» (ت٦٦٥هـ) كتاب "المرشد الوجيز فى علومٍ تتعلق بالقرآن العزيز".

وهذه الكتب – كَمَا قالَ الشيخ «السيوطي» عنها – : «عبارة عن طائفة يسيرة، ونبذة قصيرة» بالنسبة للمؤلفات التي ألفت بعد فى هذا العلم .

وفى القرن الثامن الهجرى:

ألَّف الإمام «بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي» (ت٧٩٤هـ) كتابًا سمَّاهُ "البرهان فى علوم القرآن" وهو كتاب جليل، لا يفوقه فى هذا الفن إلَّا كتاب (الإتقان) للسيوطي، وقد اعتمدَ عليه السيوطي في تأليف (الإتقان) فيما بعد، ذكرَ فيه «الزركشيُّ» سبعة وأربعين نوعًا مِن أنواعِ علوم القرآن، وقد سردها «السيوطي» فى مقدمة إتقانه، ثم نقلَ عَنْ «الزركشي» قوله: «واعلم أنَّه مَا مِنْ نوعٍ مِن هذه الأنواعِ إلَّا ولو أرادَ الإنسان استقصاءه؛ لأفرغَ عمره، ثم لم يحكم أمره، ولكنا اقتصرنا مِن كل نوعٍ على أصوله، والرمز إلى بعض فصوله، فإنَّ الصناعة طويلة والعمر قصير، وماذا عسى أن يبلغ لسان التقصير».

وللإمام شيخ الإسلام «تقى الدين أحمد بن تيميَّة الحرّاني» (ت٧٢٨هـ) رسالةً فى "أصول التفسير"، وهى –علي وجازتها– قيمة جدًّا ومفيدة، وقد اشتملت علي بعض أنواع «علوم القرآن».

وفى القرن التاسع الهجرى، ترعرع هذا العلم، وخطا خطوات فسيحة.

فألَّف فيه الإمام «محمد بن سليمان الكافيجي» (ت٨٧٩هـ) كتابه «التيسير فى قواعد علوم التفسير»، وقال عنه: "إنَّه لم يُسبق إليه"، وهو كتاب صغير جدًّا فى بابه، وقد رتبه علي بابين وخاتمة: ففى بابه الأول: ذكر معنى التفسير والتأويل، والقرآن والسورة والآية، وفي الباب الثاني: ذكر شروط القول بالرأي، وأمَّا خاتمته فهي فى أداب العالم والمتعلم.

كذا في هذا القرن، وضع الإمام «جلال الدين البلقيني» (ت٨٢٤هـ) كتابًا أسماهُ: «مواقع العلوم من مواقع النجوم» قال فى مقدمته: "وأنواع علوم القرآن شاملة، وعلومه كاملة، فأردتُ أنْ أذكر فى هذا التصنيف مَا وصلَ إليه علمي، ممَّا حواهُ القرآن الشريف من أنواع علمه المنيف"، وذكرَ «البلقيني» فى كتابه هذا خمسين نوعًا مِنْ علوم القرآنِ الكريم، [سردها «السيوطي» فى مقدمة «الإتقان»].

ثُمَّ جاءَ بعد ذلك فارس هذه الحلبة «الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين السيوطى» (ت٩١١هـ)، فألَّف كتابًا أسماهُ «التحبير فى علوم التفسير» ضمنَّهُ مَا ذكره شيخه «البلقيني» مِنَ الأنواع التى ذكرها وزاد عليها، وقد فرغَ مِنه سنة ٨٧٢هـ ، وقد بلغت أنواعه مئة واثنين.

لكنَّه لم يقنع بهذا المجهود، فعزمَ على تأليف كتاب جامع يسلك فيه مسلك الإحصاء والجمع، والضبط معَ حسن الترتيب والتبويب، وفي هذه الفترة كان قد اطّلعَ على كتاب "البرهان" «للزركشي» (و لم يكن قد اطّلع عليهِ من قبل)، فقوى عزمه علي إتمام مَا أراد.

فوضعَ كتابًا أسماهُ «الإتقان فى علوم القرآن»، وقد جعله مقدمة للتفسير الكبير الذي كان قد شرعَ فيه (فى تلك الفترة)، وهو تفسير يجمع بين الرواية والدراية، سمَّاهُ: «مجمع البحرين، ومطلع البدرين»، وقد جمعَ ثمانين نوعًا مِنْ أنواعِ علوم القرآن.

والإمام السيوطي واسع الإطلاع، ثاقب النظر، لم يدع شاردة ولا وارادة فى علوم القرآن إلَّا اطلعَ عليها، فلا عجب بعد ذلك أنْ يكونَ كتابه كالفهرس لعلوم القرآن، وقد ذكرَ فيه خلاصات مئات الكتب المؤلفة فى هذه العلوم وفى غيرها، (وقد سردَ ﷺ أسماء الكتب التى اعتمدَ عليها فى تأليف كتابه فى مقدمة كتابه). حتّى إنَّه ﷺ ليذكر فى مقدمة كل نوعٍ من أنواع علوم القرآن الكتب التي أُلفت متقلة فى هذا النوع، (مُرشدًا القارئ إلى المراجع، حاملاً له علي الاستزادة فى البحث والتحرى عن الحقائق).

ثم يأخذ فى ذكر نقول ونماذج من هذه الكتب، توضح مَا عنونَ لـــهُ، وفى هـــذه النقول روايات صحيحة لا غبارَ عليها، كما أنَّ فيها مرويات زائفة مدسوسة (كانَ الأوْلي أنْ يُنبه عليها، أو يتره كتابه عنها، ففى الصحيح غُنيَّة[1]).

كذا أخذَ العلماءُ على كتاب «الإتقان» ذكر بعض الآراء الشاذة والباطلة والنكرة دونَ التعرض لها بالنقد، والمرور بِهَا دونَ تنفيدها وبيانِ بُطلانها[2].

---

(١) وقد اتخذ المستشرقون والمبشرون من هذه المرويات طريقًا للطعن فى القرآن الكريم والإسلام عمومًا، إذْ صادت هويً فى نفوسهم المريضة، والإمام السيوطي مِنْ حفاظ الحديث ونُقاده –ولا ريبَ– ومثله أجل مِنْ أنْ يذكر مثل هذه المرويات الواهية الساقطة (التى تصل إلي حد الوضع والاختلاق) دونَ أنْ ينبه عليها، ولعلَّه ذهبَ –كما يذهب بعض المحدثين فى كتبهم– إلى أنَّه بمجرد= =ذكرِ إسناد الرواية أو عزوها إلي مخرجها فقد أعفى نفسهُ مِنَ التبعة وعلى القارئ أن يبحث ويجد فى البحث حتّى يصل إلى مفصل الحق فى هذه المرويات.

علي أنَّ هناك حقيقة ينبغي التنبه إليها، وهى أنَّ نقاد الحديث وأئمته ليسوا فى درجة واحدة فى أصالة النقد، وبعد الغور، وشغوف النظر، والكشف عن معايب الروايات الخفية، فمنهم الناقد الجهبذ، والصيرفي الماهر؛ الذي لا يخفى عليه التزييف (مهما استتر) ، ومنهم الطبيب (طبيب العلل) الذى يعرف مكان الداء بمجرد النظر، ومنهم من هو دونَ ذلكَ، تخفى عليه بعض العلل القادحة فى صحة الروايات. ومن ثم خفيت هذه الروايات المدسوسة علي بعض العلماء دونَ بعضٍ، واغترَّ بِهَا البعض فضمنها كتبه، وتنبه إليها البعض الآخر فلم ينخدع بها بل نبه علي وضعها.

(٢) وليسَ من شك أنَّ ذكر هذه الآراء (دونَ تمحيصٍ وتحقيق) يُضر بالقارئ الذي لم يتعمق بالدراسات الإسلامية، وليسَ لَه مِنَ العلم بأصولِ الدين مَا يعصمه من قبولِ هذه الآراء الزائفة. (أو على الأقل ما يوقعه في بلبة فكريَّة وشكوكٍ علميَّة).

والكتاب مع هذا نفيس، لكنه يحتاج إلي تحقيق وتدقيق وتعليق، حتّى يسلم من هذه العيوب المعدودة،

ومَنْ ذا الذى تُرضى سجاياه كلها ** كفى المرءَ نُبلاً أنْ تُعدَّ معايبه

وقد كانَ كتاب «الإتقان» -ولا زالَ- أوْفى مرجع فى علوم القرآن. وعليه اعتماد مَنْ جاءَ بعد ذلك مِنَ العلماء إلي يوم النَّاسِ هذا.

وبعد هذا الكتاب لم نعلم أنَّ أحدًا ألف في علوم القرآن إلَّا مَا كانَ مِنَ «الإمام العلَّامة الشاة أحمد» المعروف بـ "ولى الله الدهلوي" (ت١١٧٦هـ) فقد ألَّف رسالة سماها: «الفوز الكبير فى أصول التفسير»، وهى رسالة صغيرة الحجم، جمة الفوائد، مطبوعة في الهند.

ثُمَّ جاء عصر نهضة العلوم:

وفي هذا العصر -نهضة العلوم- نهضت فيه العلوم، وكانَ لعلوم القرآن نصيب ملحوظ من هذه النهضة، ونشاط ملموس، والذي ساعدَ علي هذا النشاط وبعث هذه الحياة، مَا أخذ به «الأزهر» وغيره مِنَ الحوزات العلميَّة، والجامعات الإسلاميَّة، من تطورٍ فى إدخال الدراسات التخصصية فى منهجه، فحظي القرآن الكريم وعلومه ببعض شُعب التخصص.

ولم تقف مباحث علوم القرآن عندَ الأنواعِ التى عنى بها الأقدمون، بل أُضيفت مباحث أخري لعلوم القرآن، فقد جدت بعض المباحث في عصرنا الحديث، كترجمة القرآن الكريم إلي اللغات الأجنبية، وقد تناولها العلماء بالبحث مَا بينَ مجوزٍ لَها ومانع، وألفوا فى الانتصار لآرائهم الكتب والرسائل العلميَّة.

وجدت كذلك بعض الشبه التي أوْردها القُسس والمستشرقون ومن تابعهم مِنَ الكُتاب المعاصرين، فرأي الغياري المخلصون من أبناء العلم أنْ يُناهضوا هذه الحركات

الهدّامة، التي تتعرض لأقدس مَا يُقدسه المسلمون، كتاب الله «القرآن الكريم»، فوضعوا فى الرد علي هؤلاء المشاغبين الكتب والرسائل، وبذلك أضيفت إلى مباحث هذا العلم، مباحث أخري جديدة، وتضخمت الثروة العلمية أكثر من ذي قبل.

وكانَ من هؤلاء الذين حملوا شرفَ الدفاعِ عن القرآن الكريم، فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ «محمد الخضر حسين» -شيخُ الجامع الأزهر رحمه الله- فقد ألَّف كتابًا قيمًا ردَّ فيه علي «الدكتور/ طه حسين» فيما ذكره فى كتابه «الشعر الجاهلي» من شُبهاتٍ على القرآن الكريم، وقد فنَّدَ شبهات «طه حسين» بعفة في القول وأصالة فى النقد (كما هو شأن العلماء الراسخين).

وكذلكَ صنعَ الأستاذ العالم الشيخ «محمد عرفة» في الرَّدِ على «الدكتور/ طه حسين» فيما كانَ يُلقيه على طُلاب الجامعة من محاضراتٍ فيها طعون علي القرآن الكريم، فألَّفَ الشيخ «محمد» فى ذلكَ كتابًا صغيرَ الحجم، جم الفوائد، وسمَّاهُ «نقد مطاعن القرآن».

أشهر المؤلفات فى العصرِ الحديثِ فى «علوم القرآن»:

في هذا العصر ألفت كتب فى علوم القرآن بعضها شامل لجميع أنواعه، أو لجلها، وبعضها في بعض أنواعه ومباحثه، وبعضها سلكَ فيه مؤلفه مسلك الاطناب والاستقصاء، وبعضها متوسط، وبعضها قصير.

فَمِنَ المؤلفات التى اشتملت على كثيرٍ من أنواعه: كتاب «التبان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن»، للعلَّامة المرحوم الشيخ «طاهر الجزائري» فرغَ من تأليفه سنة ١٣٣٥هـ (وهو مختصر لبعض مباحث كتاب «الإتقان» مع بعض الزيادات الطفيفة).

وألَّفَ المغفور له الشيخ «محمود أبو دقيقة» -من كبار علماء الأزهر- كتاباً فى علوم القرآن، سلكَ فيه مسلك التوسط (إلّا أنَّه لم يتم).

ومن بعده جاء المرحوم الشيخ «محمد علي سلامة» -من كبار علماء الأزهر الشريف- فألف كتاباً سمَّاهُ «منهج الفرقان في علوم القرآن» اشتملَ علي الكثير من أنواعِ علوم القرآن.

ثم سارَ على هذا المنهج وزاد عليه، الأستاذ العلَّامة الشيخ «محمد عبد العظيم الزرقاني رحمه الله» فألَّف كتابًا حافلاً فى مجلدٍ كبير سماه «مناهل العرفان فى علوم القرآن» وهو أقل استيعاباً لأنواع علوم القرآن مِن كتاب الشيخ «محمد علي سلامة» إلَّا أنَّه أوْسع فيه القول، وأطنبَ فى بعض موضوعاته، ولا سيما فى الرد علي الشبه التي أثيرت حول القرآن والوجي. [ويظهر أنَّ المؤلف رحمه الله كانَ يرغب فى أن يكمل كتابه بجزءٍ ثانٍ ولكن المنية عاجلته].

وقد ألَّف بعض العلماء والباحثين كتبًا ورسائل فى بعض أنواع علوم القرآن الكريم، ومن ذلك:

- مَا ألّفه الشيخ العلامة «محمد بخيت المطيعي» -مفتى الديار المصريَّة- فى رسالةٍ له أسماها: «الكلمات الحسان فى الحروف السبعة وجمع القرآن».

- والعلامة الشيخ «محمد حسنين العدوي»، والعلامة الشيخ «محمد خلف الحسيني» فقد كتبا رسالتين في نزول القرآن علي سبعة أحرف.

- والعلَّامة المحدث الشيخ «محمد حبيب الله الشنقيطي رحمه الله» الذي ألَّف رسالة سماها: «إيقاظ الأعلام فى اتباع رسم المصحف الإمام» وهي رسالة قيمة وجيزة تنم عن علمٍ غزير.

- وكذا الأستاذ الشيخ «عبد العزيز جاويش رحمه الله» فقد كتبَ رسالة بعنوان: «أثر القرآن فى تحرير العقل البشري» ألقاها فى نادي دار العلوم.

- والأستاذ الشيخ «محمد عبد العزيز الخولي رحمه الله» ألف رسالة صغيرة بعنوان: «القرآن الكريم – وصفه – هدايته – أثره – إعجازه» .

- والأديب الكبير الأستاذ «مصطفى صادق الرافعي رحمه الله» ألفَ كتابه «إعجاز القرآن»، وهو يعتبر بدعًا فى بابه، كشف فيه عن كثير من إعجاز القرآن الكريم الأدبي والعلمي والإجتماعي.

- وللأستاذ الشيخ «الدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله» -عضو جماعة كبار العلماء- كتاب جليل سماه: «النبأ العظيم» عرض فيه لإعجاز القرآن وأبانَ عنه بطريقة علمية فنية، ثم دلل على إعجاز القرآن البياني فى سورة "البقرة" بِمَا لا يدع مجالاً للشكِّ أنه تنزيل من حكيم حميد جل جلاله.

وما تزال المؤلفات والتصانيف في هذا العلم الشريف إلي يومنا هذا ...

المبحث الخامس:

الفائدة مِن دراسة «علوم القرآن»

(١) دراسة (علوم القرآن) تُساعد المرء علي دراسة القرآن الكريم نفسه وفهم معانيه وتدبره علي الوجه الصحيح المراد، واستنباط الأحكام الشرعية والآداب المرعيَّة.

إذْ كيفَ يتأتَّي لدارس القرآن المجيد ومفسره أنْ يتوصل إلى الحق والصواب وهو لا يعلم كيفَ نزلَ ولا متي نزلَ وعلى أي حالٍ كانَ ترتيب سور القرآن وآياتهِ، وبأي شيءٍ كانَ إعجازه، وكيف ثبتَ .. إلى غير ذلكَ مِمَّا يُذكر فى هذا الفنِّ، وإلَّا كانَ عُرْضةً للزللِ والخطأ، والبُعد عَنْ مقصود الشارع .

(٢) دراسة علوم القرآنِ تُسلح الدارس لَهَا بسلاحٍ قويٍّ ضد غارات أعداء الإسلام التى يشنوها على القرآن الكريم (زورًا وبُهتانًا) ومَا يختلقونهُ عليه مِن كذبٍ وافتراءٍ.

ولا شك أنَّ الدفاعَ عن القرآن الكريم (الذي هو أصل الإسلام) مِنْ أوْجب الواجباتِ علي الأمة الإسلاميَّة. لا سيما العلماء وأهل الرأي والمفكرين، وإنَّه لشرفٌ عظيم وخير عميم وفضل كبير أنْ يكونَ المسلم منافِحًا عن كتابِ الله ﷻ .

(٣) الدارسُ لِهذا العلم يكون علي حظٍ وفيرٍ وقدر كبيرٍ مِنَ العلمِ بالقرآنِ، وبِمَا يشتمل عليه من علومٍ ومعارف، ويحظي بثقافةٍ عاليةٍ وواسعةٍ فيما يتعلّق بالقرآن الكريم.

وإذا كانت العلوم ثقافةً للعقولِ، وصلاحًا للقلوب، وتهذيبًا للعقولِ، وإصـــلاحًا للنفوس، وتقويمًا للأكوانِ، وعنوان التقدّم والرّقي، وباعثة النهضات الحضاريَّة، ففى القمة من كل ذلك (علوم القرآن الكريم).

فالقرآن الكريم، أحسنَ القصص وأصدقه، وأحسن الحديث وأقومه، أشرف العلم وأوجبها علي كل مسلمٍ (أيًّا كانَ تخصصه، وأيًّا كانت حرْفَتُهُ).

(٤) نسبة هذا العلم (علوم القرآن) لغيرهِ مِنَ العلومِ الشرعيَّة والدينيَّة، نسبة الفرعِ لأصلِهِ.

وحكم تعلّم هذا العلم = هو فرض كفاية علي الأمة الإسلامية، وفرض عينٍّ علي كل مَنْ له صِلَة بالعلم الشرعي عمومًا وبالقرآن الكريم خصوصاً.

وقد استمدَّ هذا العلم، مِنَ القرآن والسنة وأقوال السلف من الصحابة والتـــابعين ومن بعدهم، ومِنَ القواعد التي وضعها علماء الإسلام.

المبحث السادس:

الفرق بين «أصول التفسير»

و«علوم القرآن»

إذا رجعنَا إلي الكتب التى صُدّرت عناوينها بأصول التفسير، ونظرنا إلي مادتها فإنَّكَ ستجد أغلب مباحثها فى علوم القرآن، ككتاب «الفوز الكبير فى أصول التفسير» للعلَّامة «أحمد بن عبد الرّحيم الدهلوي» (ت١١٧٦هـ) وكتاب «أصول التفسير» للشيخ «محمد بن صالح العثيمين» (ت١٤٢٢هـ) .

فهل «أصول التفسير» هى «علوم القرآن» ؟!

لو تأملنا الأمر –علي حقيقتهِ– لوجدنا التفسير جزءًا مِنْ علوم القرآن (بل هو أكبر علومه).

فالتفسير = الذي هو بيانُ القرآن وشرحه وإيضاحه وبيان المراد منه، من علوم القرآنِ، وفي علوم القرآن علوم ومعارف غير التفسير، وقد تكون بعض علومهِ مشتركة مع التفسير، وهذا أمر معتاد.

فكل ما هو من علوم التفسير = فهو قطعًا من علوم القرآن.

وقد يكون إفراد هذه العلوم بعناوينٍ مستقلّة فى كتب علوم القرآن مظنةالخلط الذي يقع بين المصطلحين كعلم (غريب القرآن) فقد كَتَبَ فيه استقلالاً جمهورٌ مِنْ علماء

اللغة "المتقدمين" وشاركهم بعض "المتأخرين"، وهو علم من علوم التفسير؛ لأنَّ التفسير لا يقوم بدونهِ، وهو من باب أوْلى من علوم القرآن أيضًا.

لكن علم (عد الآي) من علوم القرآن، وليسَ من علوم التفسير؛ لأنَّ علم التفسير يقوم بدونِهِ.

أمَّا (أصول التفسير) فإنَّه أخص من (علوم التفسير) والمسائل التى تُدرس في الأصول – غالبًا – تمثل شكل القاعدة التى يندرج تحتها أمثلة متعددة، وتكون من مبادئ هذا العلم، ويغلب عليها الجانب التطبيقي، ومن عرفها فإنَّه يسهل عليهِ ممارسة علم التفسير .

و(أصول التفسير) تشتمل علي المبادئ والأُسس التي يحتاج إليها مَنْ يريد قراءة التفسير، أو من يريد التفسير، ليعرفَ بِهَا القول الصواب مِنَ الخطأ.

ويُمكن إجمال القول فى هذه النقطة فيما يلي:-

١- إنْ كانت المعلومة (من علوم القرآن) لا أثرَ لَهَا فى فهم المعنى؛ فهى من علومِ القرآنِ، وليستْ مِنْ علوم التفسيرِ.

كمعرفة فضائل سورة (الإخلاص) مثلاً؛ فإنَّها مِنْ علومِ القرآنِ؛ لأنَّ معرفتها أو جهلها لا يؤثِّر في فهم المعني.

٢- إنْ كانت مِنَ المعلومات التى تؤثر فى فهم المعنى المراد (كمعرفة غريب الألفاظ مثلاً) فهى مِنْ علومِ التفسير (ومن علومِ القرآنِ من باب أوْلى).

٣- وإنْ كانت المعلومة تمثل أصلاً أو أساسًا يرجع إليه لمعرفة التفسير من حيث الصحة والبطلان، ومن حيث توجيه أقوال المفسرين، = فإنَّها تكون من أصول التفسير، (ومِنْ بَابِ أوْلى أن تكون من علوم التفسير، فعلوم القرآنِ).

ومثال ذلك أن يعرف طالب علم التفسير مصطلح السلف فى (النسخ) لأنَّ عدم معرفة مصطلحهم تؤثر فى فهم تفسيراتهم وتوجيهها إذا وردت عنْ أحدهم فى موطنٍ لا يصلحِ للنسخِ كالأخبارِ –مثلاً– فإذا وردت عبارة النسخ في تفسير أحدهم فى خبرٍ مِنَ الأخبارِ؛ أجزَّمَ بأنَّه لا يريد (النسخ الاصطلاحيّ) بل يريد التنبيه علي وقوعِ رفع لجزء من معني الآية؛ كأنْ يكونَ بيان مجمل، أو تخصيص عمومٍ، أو تقييد مطلق، أو بيان وقوع استثناء ... ونحو ذلك.

ومثال ذلكَ، في ما وردَ مِنْ إطلاق السلف لفظ (النسخ) علي الخبر، مَا ورَدَ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما فى قوله تعالي: ﴿**والشعراءُ يتبعهم الغاوون**﴾ [الشعراء: ٢٢٤]، حيثُ قال أبو جعفر النّحاس (ت٣٣٨ هـ): "قد أدخلَ هذه الآية بعض النَّاسِ في الناسخ والمنسوخ، حدثنا أبو الحسن علي بن أحمد، قال: حدثنا محمد بن هشام، قال: حدثنا عاصم بن سليمان، عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباسٍ ﴿**والشعراءُ يتبعهم الغاوون**﴾ قال: «نسختها الآية التي بعدها» يعني ﴿**إلَّا الذين وعملوا الصالحات**﴾ [الشعراء: ٢٢٧]".

فقوله تعالي: ﴿**والشعراءُ يتبعهم الغاوون**﴾ خبرٌ؛ والخبر لا يُنسخ (بمعني رفعه بالكليَّةِ)، وليسَ هذا مراد ابن عباسٍ رضي الله عنهما ، فليس المقصود هنا بالنسخ النسخ الكلي، وإنَّما مراده رضي الله عنهما النسخ الجزئي (وهو تخصيص العموم الوارد فى قوله تعالي ﴿**والشعراءُ يتبعهم الغاوون**﴾ بالاستثناء الوراد بعده فى قوله تعالي ﴿**إلَّا الذين وعملوا الصالحات**﴾ . والله أعلم.

إذًا؛ فإنَّ (علمَ أصول التفسير) جزء من (علوم التفسير)، و(علوم التفسير) جزء من (علوم القرآن).

المبحث السابع:
خصائص القرآن

وفيه:

- أولاً: خصائص القرآن التى تتعلق بفضلهِ وشرفه ومكانتهِ.
- ثانيًا: خصائص القرآن العامة.

أولاً: خصائص القرآن التى تتعلق بفضله وشرفه ومكانته.

(١) فضل القرآن الكريم

لا يخفي علي مَنْ لديه قدرٌ مِنَ العلم الشرعي فضل القرآن الكريم، إِذْ إنَّ القرآن الكريم "عمدة الملة، وكلية الشريعة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، فلا طريقَ إلى الله سواه، ولا نجاة بغيرِهِ، ولا تمسك بشيء يخالفه".

هو كلام الله العظيم، وصراطه المستقيم، ودستوره القويم، ناطَ به كل سعادة، وهو الرسالة الخالدة، والمعجزة الدائمة، ورحمة الله الواسعة، وحكمته البالغة، ونعمته السابغة، وهو حجة الرسول ﷺ الدامغة، وآيته الكبري شاهدة برسالتهِ، وناطقة بنبوتِهِ.

هو كتاب الإسلام فى عقائدهِ، وعباداتِهِ، وحكمه، وأحكامه، وآدابه، وأخلاقه، وفضائله، وقصصه، ومواعظه، وعلومه، وأخباره، وهدايته، ودلالته.

هو أساس رسالة التوحيد، والمصدر القويم للتشريع، ومنهل الحكمة والهداية، والرحمة المسداة للنَّاس، والنور المبين للأمة، والمحجة البيضاء التي لا يزيغ عنها إلَّا هالك.

هو «الكتاب الباقي مَا بقيَّ التكليف، فَنَسَخَ وَلَم يُنْسخْ، وهيمنَ علَى غيرهِ، ولَم يُهيمن عليهِ غيره»[1]. فضله لا يدانيه فضل ولا تسمو إليه مكانة.

(٢) شفاعة القرآن لأهله:

فَمِنْ خصائص القرآن الكريم أَنَّه يشفع لأهلهِ يومَ القيامة، وذلكَ لِمَا وردَ في حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «اقرءوا القرآنَ فَإنَّه يأتِ يومَ القيامةِ شفيعًا لأصحابهِ».

(٣) والقرآن شفاء للمؤمنين:

قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

ويقول جل جلاله: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤].

وقال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

---

[1] الباقلاني وإعجاز القرآن، للأستاذ الدكتور/ محمد محمد أبو موسي-عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف-، منشور بمجلة الأزهر (ص٤١٠)، شهر ربيع الأوَّل ١٤٣٩هـ نوفمبر/ ديسمبر ٢٠١٧م - الجزء ٣ السنة ٩١ .

ونلاحظ أنَّ الله ﷻ وصف القرآن بأنَّه ﴿**شفاء**﴾ ولَمْ يقلْ (دواء)؛ لأنَّ الشفاء ثمرة الدواء، والهدف منه، أَمَّا الدواء فقد يجدّى وقد لا يجدي بل قد يضر أحيانًا، فكأن وصف القرآن بالشفاء تأكيد –وأي تأكيد– لثمرة التداوي به.

وقد ضربَ رسول الله ﷺ المثلَ بنفسه فى التداوي بالقرآن العظيم، فقد روت عنه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أَنَّه ﷺ كانَ ينفث على نفسه فى المرض الذى مات فيهِ بالمعوذات، فلمَّا ثقلَ، نفثت هي رضي الله عنها عليه بهنَّ ومسحت بيدهِ الشريفة ﷺ لبركتها.

بل أقرَّ ﷺ الصحابة رضي الله عنهم على الاستشفاءِ بالقرآنِ، فقد روي أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ ناسًا من أصحاب رسولِ الله ﷺ أتوا على حيٍّ من أحياء العربِ، فلم يقروهم، فبينما هم كذلك إِذْ لُدِغَ سيّد أولئكَ، فقال: هل معكم من دواء أو راقٍ؟ فقالوا: إنَّكم لم تقرونا، ولا نفعل ذلكَ حتَّى تجعلوا لَنَا جُعلاً، فجعلوا لهم قطيعًا من الشاة، فجعلَ يقرأ بأم القرآن، ويجمع بزاقه ويتفل؛ فبرأ، فأتوا بالشاء، فقالوا: لا نأخذه حتَّى نسأل النبي ﷺ، فسألوه، فضحكَ، ثم قال: «وَمَا يُدريكَ أنَّها رقية، خذوها واضربوا لي بسهمٍ».

كما أنَّ القرآن العظيم، شفاء للأمراض النفسيَّة، ومَا أحوج مجتمعاتنا اليومَ إلي التداوي بهِ لهذا الداء الوبيل فى عالم تتنازعه الأهواء الماديَّة والشهواتِ الجسديَّة والملذات الدنيويَّة، وإنَّما تحدث الأمراض (النفسيَّة) حينَ يُعرض الإنسان عن ربه ومولاه، وعن كتاب الله.

قال تعالي: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

وقال ﷻ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦].

والعلاج والشفاء قرين إدامة ذكر الله تعالى!

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

ولكن ينبغي أنْ نعلم علم اليقين أَنَّ الاستشفاء بالقرآنِ يستدعي كمال اليقين وقوة الإعتقاد وسلامته.

لِذا قال الزركشيُّ رحمه الله: «لَنْ ينتفعَ بِهِ إلَّا مَنْ أخلصَ لله قلبه ونيته، وتدبر الكتاب فى عقلهِ وسمعهِ، وعمَّرَ بِهِ قلبه، وأعملَ بِه جوارحه، وجعله سميره فى ليلهِ ونهارهِ، وتمسكَ بِهِ وتدبرهُ» اهـ

وللقرآن الكريم خصائص تتعلق بفضله وشرفه ومكانته، كالتعبد بتلاوته، وتعدد أسمائه وصفاتِهِ، وثواب القارئ له والمستمع، وله نزولين، كما قد نزل منجمًا (مفرّقًا) دونَ سائر الكتب السماويَّة الأخري.

خَصائص تتعلق بأسلوب القرآن ولغته:

١- القرآن الكريم لا يعلو عَن أفهام العامة، ولا يقصر عَن مطالب الخاصة.

وهذانِ المطلوبانِ لا يدركهما الفُصحاء البلغاء مِنَ النَّاسِ، فلا يأتي كلام أي أحدٍ مِنَ البشر بكلامٍ يُخاطب بِهِ العامة والعلماء، والسوقة والملوك، والأغبياء والأذكياء، والصغير والكبير، والذكر والأنثي، فى نفس الوقت، ويري فيهِ كل واحدٍ منهم مطلبه،

ويدرك من معانيهِ مَا يكفيهِ، إذْ لا نجِدُ هذا إلَّا فى كتابِ الله رب العالمين علـــى أتمِّ وجـــهٍ وأكمله.

يقرأ العامي القرآن فيشعر بجلاله وجمالهِ، ويذوق حلاوته، ولا يلتوي عليهِ فهمه، فتدركه هيمنته، ويستولى عليهِ بيانه، وتغشاه هدايته، فيخشع قلبه، وتدمع عيناه، فينقاد لَه ويذعن.

ويقرأ العالم القرآنَ فيدك فصاحته، وتهيمن عليهِ بلاغته، ويملكه بيانه، وتنجلى لـــه علومه ومعارفه، وتدهشه أخباره وأنباؤه، فيجد فيه زمام فكره، وقيادة عقلـــهِ، ومنـــهج علمهِ، ورفعة شأنِهِ، فيذعن، مرددًا بقلبهِ ولسانِه وجوارحهِ:

﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ [غافر: ٧]

ثُمَّ يَرْفَعُ يديهِ:

﴿ رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤].

فتدركه الخشيَّة، ويذعن لرَّبِّهِ، ويؤمن بشرعه!

والآيات هى هى لم تتغير و لم تتبدل!

٢- ومن خصائص الأسلوب القرآني الكريم: **تصوير المعانى:**

ويُراد بِهَا إظهار المعاني بكلماتٍ تكاد أنْ تجعلها بصورة المحسوس حتَّى تهم بلمسها بيديكَ، وحتَّى تلج إلى ذهنك مترابطة متكاملة، لا تكلف ذهنك مشقة تركيبهَا، ولا تثقله

بمهمة تجميعها، فتقسره قسرًا على الفهم والإدراك، بل تفجؤه بانطباعها فيهِ بمجرد توجهه إليها[1].

وتصوير المعاني يكون أحيانًا بطريقة التجسيم –أي يجعلهَا فى صورةٍ مجسمة قابلة للوزنِ والكثافة– .

فقد وصفَ الله تعالى العذاب بكونهِ غليظًا، كما وردَ فى قوله تعالي:

﴿ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [إبراهيم: ١٧].

ووصفَ اليومَ بأنَّه ثقيل:

﴿ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ [الإنسان: ٢٧].

فنقل العذاب من كونه معنى مجردًا إلى شيءٍ ذى غلظ وسمك، كما نقلَ اليومَ من زمنٍ لا يمسك إلى شيءٍ ذى كثافة ووزن.

٣- كذلك من خصائص الكتاب العزيز أنَّه **يُشبع العاطفة ويُرضى العقل.**

وهناكَ خصائص أخري كثيرة لأسلوب القرآنِ، منها:

١- **نظمه،**

٢- **ووقعه،**

٣- **وجودة سبكه،**

---

[1] وتفسير الظلال للأستاذ سيد قطب، له عناية خاصة بهذا المعني، (وتميز بِهِ بين سائر المفسرين).

٤- وإحكام السرد،

٥- وتعدد الأساليب،

٦- واتحاد المعنى،

٧- والجمع بين الإجمال والبيان،

٨- وإيجاز اللفظ مع وفاء المعنى،

وغير ذلكَ مِمَّا هو واضح وبين (لا خفاء فيهِ).

ثانيًا: خصائص القرآن العامة:

وهى خصائص كثيرة ومتعددة أيضًا، ومنها:-

١- حفظه فى الصدورِ:

فَمِنْ أشرف خصائص القرآن الكريم أنَّ الله ﷻ كَلَّفَ الأمة بحفظهِ كله (بحيث يحفظه عدد كثير يثبت به التواتر)، وإلَّا أثمت الأمة كلها، وليس هذا الأمر لغيرِ القرآنِ، فالتوراة والإنجيل ترك الله لأهلهما أمر الحفظ، فاكتفوا بالقراءة دونَ الحفظ، (إلَّا قلة لا تكاد تذكر)، و لم تتوفر لهما الدواعي للحفظ كما توافرت للقرآنِ، فلم يكن لهما ثبوت قطعي كما هو للقرآن الكريم، فسهل تحريفهما وتبديلهما.

و لم يترك الرسول ﷺ سبيلاً إلَّا حَثَّ فيهِ على حفظ الكتاب العزيز وأرْشدَ إليهِ، فحفظه عدد من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم، إلي يوم النَّاس هذا، فما زالت المسيرة

مستمرة يحفظ المسلمونَ القرآن فى صدورهم، حتى من المسلمين غير العرب، فنجد إقبالاً لا يخطر على بالٍ ولا يحلم بمثله أهل كتاب.

وقد أثارَ هذا الأمر ذهول بعض المستشرقين، حتَّى قالت المستشرقة "لورا فاغليري": «إنَّ فى مصر وحدها عدد من الحفاظ –يعني للقرآن الكريم– أكثر من عدد القادرين على تلاوة الأناجيلِ عن ظهر قلبٍ فى أوروبا كلهَا».

وقال "جيمي متشيز": «لعلَّ القرآن هو أكثر الكتب التى تقرأ فى العالم وهو بكل تأكيد أيسرها حفظًا».

٢- اتصال السند:

مِنَ المعلوم أنَّ أغلب الذين يتعلمون تلاوة القرآن الكريم إنَّما يتعلمونها عن طريق السماعِ ولا يكتفونَ بمجرد التعلم من المصحف، ونعلم أنَّ أساتذتهم (أشياخهم) تلقوه أيْضًا بالسماعِ من مشايخهم، وهكذا، فلا تنقطع الطريقة إلى أن تصل طبقة التابعين ثم الصحابة ثم الرسول ﷺ.

وبهذا يكون سند القرآن فى كل عصرٍ، وفى كل حينٍ، متصلاً برسول الله ﷺ، وليس هذا لكتاب غير القرآن المجيد، فقد شرَّفَ الله هذه الأمة باتصال سند كتابها دونَ إنقطاعٍ!

٣- لا يمسه إلَّا المطهرونَ:

أنزَل الله القرآن بواسطة أفضل الملائكة على أفضل البشر لخير أمة أخرجت للنَّاس، فأخرجهم بِهِ من ظلمات الجهل والكفر إلى نور الإيمانِ والعلم، ومن رجس الجاهليـــة إلي طهارة الإسلام، فحق لهذا الكتاب المبارك أن يتهيأ المسلمونَ لتلاوته، وأن يستعدوا لتلك التلاوة بالطهارة، وهذه الطهارة طهارة عامَّة، تشمل طهارة القلب من الكفر والشرك، فلا يمس القرآن كافر، ولا يُسافر بالمصحف إلى بلاد الكفر، وتشمل كذلك طهارة القلب من الرياء والنفاق ولعاعة الدنيا، وتشمل طهارة البدن مِنَ الحدثينِ الأكبر والأصغر، فيجـــب الاغتسال مِنَ الجنابةِ ونحوهَا (بِلا خلاف)، ويُسن الوضوء مِنَ الحديث الأصغر (بل أَوْجبه بعض العلماءِ)، كما تشمل طهارة اللباس، فينبغي أنْ تكونَ ثياب المرء طاهرة نظيفة نقيَّة، بل يستحب التطيب، ولبس أحسن الثياب، كذا طهارة الفم، فينبغي للقارئ أنْ ينظف فاه ويستاك ويخلل أسنانه اقتداءً بالنَّبيِّ ﷺ وأصحابة الكرام رضي الله عنهم من بعْدِهِ.

(وهذه الطهارة خاصة بالكتاب العظيم القرآن الكريم وحْدَه، لا يشترك معه فيها غيره من الكتب الأخري!).

٤- أنَّ الله تعالى تعهَّدَ بحفْظِهِ:

قال الله تعالي: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

وقد مرّت بالقرآنِ أحداث عظيمة وأهوال جسيمة وعوامل خطيرة، وتكالبَ عليهِ الأعداء وتداعت عليهِ الأمم، (ولو مرَّ بعض ما تعرض له الكتاب العزيز على غـــيرهِ مـــنَ الكُتب لأصابه مَا أصاب الكتب السابقة على القرآن مِنَ التحريفِ والتبديلِ والتغييرِ). أمَّا

القرآن فقد مرَّ بهذه الأحوالِ المتماوجة والدواعي المتكالبة، ولم تنلْ منه بُغيتها بل وصل إلَيْنَا كَمَا أنزله الله لم يتبدل ولم يتغير، فلا طالته الأفواه النافخة، ولا نالته الأصوات اللاغيَّة، ليتمّ الله نوره ولو كره الكافرونَ.

وقد كانت هذه الآية آية الحفظ بالنسبة للصحابة رضي الله عنهم خبرًا، ولكنها الآن خبر ومعجزة، معجزة أن مرَّ خمسة عشر قرْنًا ولَم يقع مَا يُخالفها، وخبر بأنَّ الحفظ مَا زالَ مستمرًّا إلى أنْ يرث الله الأرْضَ وما عليها.

أَمَّا الكتب السابقة فلم يتعهد الله بحفظهَا، بلْ أَوْكَلَ أمر حفظها إلى أهْلِهَا، فقالَ تعالى:

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤].

وللقرآنِ الكريم خصائص عامة كثيرة، ومنها إجمالًا:

١- **معارفه،**

٢- **وإعجازه،**

٣- **وأنَّه لا يُنسب إلَّا إلى اللهِ تعالى،**

٤- **والجمع بينَ البسملة والإستعاذة عندَ تلاوتهِ،**

٥- **وحرْمة تفسيرهِ بمجرد الرأى،**

٦- وتيسير حفظه وتلاوته،

٧- وأنَّ قارئه لا يمله،

٨- وتحريم روايته بالمعنى،

٩- وأنَّه يتفلت من حافظهِ إذا لم يُعاهد عليهِ بالمراجعة والقراءة،

١٠- ورسمه،

١١- وهيمنتهِ على الكتب الأخرى السابقة،

١٢- والأحرف المقطعة فى أوائل بعض سوَرِهِ،

وغير ذلك.

تمّتْ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفهرس

مقدمة ٣
المبحث الأول: معنى علوم القرآن ٦
- تعريف «العلوم» ٦
- تعريف «القرآن» ٦
- تلخيص الآراء في معنى (القرآن) لغةً ٨
- تعريف القرآن اصطلاحًا ٩
- علوم القرآن بالمعنى الإضافي ٩

المبحث الثاني: الفرق بين القرآن الكريم والأحاديث القدسية ١١
المبحث الثالث: أسماء القرآن الكريم ١٤
المبحث الرابع: نشأة علوم القرآن وتطورها ١٦
- أولاً: قبل عصر التدوين ١٦
- ثانيًا: عصر التدوين ٢٠
- نشأة علم «علوم القرآن» كفنٍ مدونٍ مستقل ٢٤
- متى ظهرَ مصطلح «علوم القرآن»؟ ٢٤
- المؤلفات فى القرنِ السادس الهجري ٢٥
- وفى القرن السابع الهجري ٢٦
- وفى القرن الثامن الهجري ٢٦
- وفي القرن التاسع الهجري ٢٧
- ثُمَّ جاء عصر نهضة العلوم ٢٩
- أشهر المؤلفات فى العصر الحديث في «علوم القرآن» ٣٠

المبحث الخامس: الفائدة من دراسة علوم القرآن ٣٣
المبحث السادس: الفرق بين أصول التفسير، وعلوم القرآن ٣٥
المبحث السابع: خصائص القرآن ٣٨
- أولاً: خصائص القرآن التى تتعلق بفضلهِ وشرفه ومكانتهِ ٣٨
- ثانيًا: خصائص القرآن العامة ٤٤

الفهرس ٥٠